المحاضرة الثالثة

عنوان المحاضرة

مصادر الثقافة الإسلامية

الجزء الأول

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

مصادر الثقافة الإسلامية

عناصر المحاضرة:

أولاً: المصادر الشرعية:

1- القرآن الكريم. 2- السنة النبوية. 3- الفقه الإسلامي.

ثانياً: المصادر المعرفية:

1-التاريخ الإسلامي. 2- اللغة العربية وآدابها.

3- الخبرات الإنسانية النافعة. 4- الواقع المعاصر.

5- الفكر البشري.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

أولاً: المصادر الشرعية:

مصادر الثقافة الإسلامية

إن الثقافة الإسلامية بحرٌ لا ساحل له، وعطاؤها الفكري رحب، ومادتها تعد نتاجاً لتراكم تاريخي ممتد لأزمان طويلة، ومكوناتها ذات تنوع وتشعب كبير، ومن ثم فإن الحديث عن مصادرها ينصرف إلى الأصول الجامعة، والأطر العامة التي ترجع إليها أو تستمد منها، أو تسترشد بها، وأما ما وراء ذلك من مصادر شتى؛ فلا يمكن حصرها فضلاً عن الإحاطة بها، وبالتالي فالمصادر تشكل الأسس الكبرى للثقافة من حيث آفاق الفكر، وميادين العطاء، ومجالات التفاعل، ورصيد التجربة، وتلك المصادر تعد علامة فارقة بين ثقافة وأخرى، وسمة مميزة لأي ثقافة عن غيرها من الثقافات.

والحديث عن مصادر الثقافة الإسلامية يدور في محورين: مصادر شرعية، ومصادر معرفية، ويندرج تحت كل عدد من الفروع الكثير؛ فالمصادر الشرعية تحوي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والفقه الإسلامي؛ أما المصادر المعرفية فتشمل: التاريخ الإسلامي، واللغة العربية وآدابها، والخبرات الإنسانية النافعة، والفكر البشري، والواقع المعاصر ، وهذه المصادر تخص الثقافة الإسلامية بشكل أساسي، وهذا بيان موجز لها...

أولاً: المصادر الشرعية:

المصدر الأول: القرآن الكريم:

وهو: كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، المعجز في لفظه المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر. والحديث عن القرآن الكريم لا يتسع له هذا المقام، ولذا نوجز أبرز خصائص القرآن الكريم ذات الأثر المهم في كونه مصدراً للثقافة الإسلامية، ونلخصها فيما يلي:

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

المصادر الشرعية

1- القرآن الكريم محفوظ من التغيير والتحريف:

ويدل على ذلك قوله تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9))) [الحجر: 9]، وهذا يمثل للثقافة الإسلامية أصالة متميزة في ثبات أطرها ومنطلقاتها العامة المحفوظة في آيات القرآن دون تحريف بالزيادة أو النقصان.

2- القرآن الكريم شامل لجوانب الحياة المختلفة:

يوضح ذلك قول الله تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) [المائدة: 3]، قال السعدي: «﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، والأصول والفروع؛ ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين وأصوله وفروعه».

ويقول الله تعالى ((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ))[الأنعام: 38]، قال القرطبي: «أي: ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ أو من الإجماع أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال تعالى: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)) [النحل: 89]، وقال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) [النحل: 44]، وقال: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)) [الحشر: 7]، فأجمل في هاتين الآيتين ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله تعالى بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلاً».

ولا شك أن هذا الشمول والكمال يعد مكسباً وميزة للثقافة الإسلامية في سعة ميادين موضوعاتها ورحابة مجالات عطائها.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

3- التوازن والانسجام في الخطاب القرآني:

القرآن الكريم جمع بين خطاب العقل والعاطفة: وشواهد ذلك في القرآن كثيرة ومنها ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21)))[العنكبوت: 20، 21]،فنحن نرى الآية تدعو العقل إلى التفكر والتدبر ثم نجد خطاب العاطفة في شأن العذاب والرحمة والتذكير بالمآل الأخير بين يدي الله جل وعلا، وجمع القرآن كذلك بين رعاية الجسد وغذاء الروح، كما نجد في القرآن أمثلة كثيرة لزكاة النفس وانشراح الصدر.

بالإضافة إلى ذلك؛ جاء التوازن في علاقة المسلم بين الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)))[القصص: 77].

وفي ضوء ما سبق ندرك أن القرآن- كمصدر أول للثقافة الإسلامية- يعتبر رافدًا حيويًا زاخرًا، يمدها بزاد عظيم. إذ إن الحفظ والثبات يشكلان أصول المنهج الذي لا تزيغ به العقول البشرية، ولا شهوات النفوس الإنسانية، ولا يتقلب مع تقلبات الزمان، ولا يتغير بتأثيرات المكان، وفي تلك الأصول الاعتقاد الصحيح في الله تعالى، والتصور الكامل عن الكون والإنسان، إضافةً إلى ما فيه غذاء الروح وسكن النفس من علاقة العبودية لله مع كمال الحب، وعظمة الخشية، وغير ذلك مما يرسم مسار الثقافة الإسلامية، بأفق واسع، وغايات سامية، ومجالات متنوعة، ويطلق طاقات أبنائها الفكرية، والنفسية والبدنية في توافق وانسجام.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

المصدر الثاني: السنة النبوية:

وهي: ما أُثر عن النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو عمل أو إقرار أو صفة خُلقية أو خَلقية أو سيرة.

وهذه بعض خصائصها وسماتها كمصدرٍ تستقى منه الثقافة الإسلامية:

1- السنة مستمدة من الوحي الإلهي:

قال تعالى: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)))[النجم: 3، 4]، وذلك يعكس ذات المعاني والدلالات التي ذكرت في حفظ القرآن، إذ السنة وحي، وهي محفوظة في الجملة بحفظ الله، إذ من تمام حفظ الكتاب حفظ ما يشرحه ويبينه، وقد قيض الله للسنة أئمة من علماء الأمة حفظوا متونها، ونقدوا رواتها وميزوا الصحيح والضعيف.

2- السنة تفسير للقرآن الكريم وشرح لمعانيه:

قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ))[النحل: 44]، وبيان الرسول ﷺ كان أبلغ بيان، فقد اشتمل على الشرح والتفسير، وذكر القصص، وضرب الأمثال، متنوع الوسائل القولية والعملية، فالسنة جسر موصل إلى التعلق بالقرآن، والتدبر في معانيه، والعمل بأحكامه، والتحلي بآدابه، والدعوة إلى منهاجه.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

3- السنة تجسيد للمنهج الرباني في صورة عملية حية:

قال تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ))[الأحزاب: 21]، وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ أو جزت فقالت: «**كان خلقه القرآن**» ،ولا شك أن تلك مزية كبرى، فكثيرة هي المبادئ النظرية التي لا وجود لها يصدقها في الحياة الواقعية، وكثيرة هي الأفكار المثالية التي لا تدعمها أمثلة تطبيقية، أما السنة والسيرة النبوية فهما أصدق ترجمان، وأبلغ بيان عن حقائق القرآن ومثله فينتظم المثال والواقع، والمنهج والعمل في تجانس وتكامل لا نظير له.

والسنة من ثّم تعد مصدرًا عظيمًا للثقافة الإسلامية، بمادتها الحديثية الشاملة لتربية الفرد، وتنظيم المجتمع، وبناء الإنسان، وتشييد العمران، فضلاً عما تضمنته من وسطية الفكر، وعدالة الحكم، وإنسانية التعامل، وإن الثقافة الإسلامية لتتميز بذلك عن غيرها، إذ إنها تجد النموذج التطبيقي الأمثل في الجوانب الحياتية المختلفة، ممثلاً في شخص واحد، فهي جديرة بأن تفتخر وتعتز، وأن تستفيد وتفيد، ذلك أن المصطفى ﷺ كان الحاكم العادل، والقاضي النزيه، والزوج المحب، والأب المربي، والصديق الوفي، والسياسي المحنك، والعسكري الشجاع، والتاجر الأمين.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

المصدر الثالث: الفقه الإسلامي (الإجماع والقياس):

الفقه الإسلامي له مادة ضخمة، فهو من جهة يشتمل على العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والجنايات وغيرها، ومن جهة أخرى يشتمل على مذاهب الأئمة ذوي الاجتهاد في سائر الأبواب، ومن جهة ثالثة فيه الأحكام وأدلتها وشواهدها، والاستنباط وأصوله وطرائقه، والترجيح وقواعده وعوارضه، يضاف إلى ذلك تناول الفقه لمستجدات المسائل بالبحث فيها والحكم عليها، وكثيرة هي الموسوعات والمؤلفات في هذا الفن.

إن هذه الثروة العظيمة لا نظير لها في تراث الأمم والثقافات الأخرى في الجملة، ولعل من أبرز السمات التي يشار إليها في الفقه الإسلامي في هذا المقام ما يلي:

1- إبراز محاسن الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان:

وذلك من خلال السعة والشمول، والدقة والإحكام، والتزام المنهجية العلمية، والربط بالمقاصد الكلية.

2- إبراز الثراء العلمي ومزية الجمع بين صفتي الثبات المانع من التميع والاجتهاد المانع من الجمود والتخلف:

وذلك ظاهر في المرجعية الأصيلة للكتاب والسنة، وثبات الأحكام القطعية، لاسيما في العبادات وكبائر المحرمات، فهذه الثوابت دلت عليها الآيات والأحاديث النبوية، والإجماع المعتبر في العصور المختلفة، وأما ساحة الاجتهاد والتجديد فهي واسعة ومتنوعة، وقد شهد القاصي والداني بأصالة وسعة الفقه الإسلامي وقلَّ في الأمم والثقافات وجود مثل هذا الرصيد العلمي بضخامته وتميزه وروعته.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

ثانياً: المصادر المعرفية

ثانياً: المصادر المعرفية:

المصدر الأول: التاريخ الإسلامي:

يعد التاريخ الإسلامي من المصادر المهمة للثقافة الإسلامية، فهو يعد ميدانًا شاسعًا مليئًا بالأحداث والمعطيات التي سجلتها ظروف الإنسان، وأحواله السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسلوكية، ويمكننا أن ننظر إلى التاريخ الإسلامي كمصدر للثقافة الإسلامية من جوانب متنوعة منها:

1- التاريخ تجسيد لمسيرة الأمة وبيان لمدى ارتباطها بمنهجها:

فالتاريخ الإسلامي يمثل مسيرة الإسلام في عصوره النموذجية في عهد النبوة والخلافة الراشدة، كما نوّه بذلك المصطفى ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» ، وكذلك في عموم القرون المفضلة التي ورد في شأنها الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ حيث قال: «**خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» .

2- التاريخ رصد للمنجزات الحضارية والمسيرة العلمية:

ففي صفحات تاريخ الإسلام سير العلماء، وعطاؤهم العلمي في المجالات المختلفة، وكذا سجَّل التاريخ صفحاتٍ مشرقةً في حواضر العالم الإسلامي في المشرق، إضافة إلى السجل الحضاري الحافل للدولة الإسلامية في الأندلس، وما وصلت إليه من تطور علمي كان الأبرز من نوعه في ذلك الزمان، ويدل على ذلك الرصيد العلمي الهائل من الكتب المخطوطة والمطبوعة في شتى العلوم.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

3- التاريخ تسجيل لتفاعل الأمة مع الأمم الأخرى وثقافتها وحضارتها:

ففي التاريخ الإسلامي فتوحات عظيمة دخل فيها الإسلام إلى كثير من أقطار المعمورة، وتعامل مع أقوى الحضارات، والتاريخ يبين هذا التفاعل الحضاري الذي استوعبت فيه الثقافة الإسلامية المنجز الحضاري المادي، والميراث العلمي المعرفي، فأخذت النافع، واجتنبت الضار، وزادت على ما أخذت، وتوسعت فيما علمت، وأروع من ذلك أنها أضافت لتلك الأمم الشعوب والثقافات وعلومها ومعارفها، وقبل ذلك قيمها ومبادئها، وانتصرت منهجياً وفكرياً مثلما انتصرت مادياً وعسكرياً، بل إن انتصارها الثقافي والحضاري كان دائماً أبلغ وأوسع.

4- التاريخ مجال خصب لمعرفة الدروس والعبر والإفادة منها في الحاضر والمستقبل:

التاريخ الإسلامي كانت فيه فترات قوة وانتشار، ورقي وازدهار، كما شهد كذلك فترات ضعف وانحسار، وفي بعض البلاد فترات سقوط وانهيار، وكل ذلك مجال للاتعاظ والاعتبار، وهذا منهج قرآني للمسلم كما في قوله تعالى: ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ))[الروم: 42]،وفي صفحات التاريخ دروس وعبر، وتجارب وفوائد، وأمة لا تقرأ تاريخها لا تعرف حاضرها ولا تتهيأ لمستقبلها، وهكذا نجد التاريخ منبعاً متدفقاً في بحر الثقافة الإسلامية.

ونظرًا لأهمية التاريخ فإن الأمم تبرز معالمه لشعورها بأن وجود الأمة في حاضرها إنما هو استمرار لوجودها في ماضيها، فليس غريباً أن يكون التاريخ الإسلامي مصدرًا أساسيًا للثقافة الإسلامية.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

المصدر الثاني: اللغة العربية وآدابها:

إن من أبرز سمات اللغة العربية التي تكشف عن ثراء عطائها كمصدر للثقافة الإسلامية ما يلي:

1- اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي مشتركة بين الشعوب الإسلامية المختلفة:

استوعب الإسلام شعوبًا كثيرة، ودخل بلادًا عديدة، ودانت به جموع غفيرة لها لغات وثقافات مختلفة، ومن ثم كانت اللغة العربية –بما لها من ارتباط بالدين في القرآن والسنة وفرائض العبادات –اللغة التي يحرص على تعلمها كل مسلم بل كل من في ديار الإسلام حتى من غير المسلمين، ذلك أنها لغة التواصل والتفاهم عبر الرقعة الواسعة للبلاد الإسلامية المترامية الأطراف، ولقد كان شغف تعلم اللغة العربية لدى عامة المسلمين عظيماً، وكان إتقانها شرفاً كبيراً، ومن ثم برع فيها وصار من أعلامها وعلمائها من ليسوا عرباً في الأصل، وحسبنا في ذلك سيبويه النحوي الشهير إذ هو فارسي.

2- ثبات أصول وقواعد اللغة العربية وآدابها من خلال حفظ القرآن الكريم:

وهذه المزية جعلت اللغة ثابتة في أصولها مع تجدد عطائها، وتنوع آدابها، فالثبات يشمل أصول اللغة صرفاً ونحوًا، وبنية الكلمة ودلالتها المعنوية، وتراكيبها الإفرادية والجمعية، وأحوالها الإعرابية واشتقاق يستوعب التسمية لمستجدات المخترعات.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

3- استئثارها بالنصيب الأكبر من تدوين التاريخ والأدب والعلوم الإسلامية:

لا شك أن المؤلفات في العلوم الإسلامية كتبت بلغات متعددة كالفارسية والأردية لكن اللغة العربية كان لها الحصة الكبرى، والمكتبات العالمية تشهد بذلك إذ تضم مئات الآلاف من المخطوطات العربية في شتى فنون العلم، وذلك جعل اللغة العربية مزية كمصدر للثقافة الإسلامية باعتبارها الوعاء الذي دون نتاجها، وحفظ آدابها، وسجل تاريخها.

ولذلك فإن اللغة بمثابة سمت يمثل طابع الأمة وصورتها، ويكشف عن حقيقتها وجوهرها، وعلى هذا الأساس فإن المسلم يحرص أشد الحرص على تعلم اللغة العربية باعتبارها وسيلة كبرى لفهم القرآن والإسلام، وبناءً على ذلك يمكن القول بأن اللغة العربية مصدر ذو شأن من مصادر الثقافة الإسلامية.

المصدر الثالث: الخبرات الإنسانية النافعة:

تعد الخبرات الإنسانية النافعة مصدراً مهماً من المصادر التي تسهم في بناء الثقافة، حيث استفاد المسلمون من الخبرات البشرية، وما أنتجته العقول من ابتكارات، وحضارات، ونُظُم، وعلوم، ما دامت لم تتعارض هذه الجهود والخبرات الإنسانية مع العقيدة الإسلامية ومنهج الإسلام في الحياة، ولم يوجد في الإسلام ما يغني عنها.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

الواقع المعاصر

المصدر الرابع: الواقع المعاصر :-

إن الواقع المعاصر من المصادر المهمة للثقافة الإسلامية، لأن معرفته وما يدور فيه من أفكار وأحوال تجعل المثقف يتمكن من الربط بين الوحي الإلهي وبين الواقع الإنساني.

لكن الثقافات البشرية تنحصر علاقتها بالواقع في طرفين متقابلين:

الأول: التباعد عن الواقع وعزوف بالإتباع عنه، لتحقيق سمو روحي متوهم لا يمكن تحقيقه إلا عبر هذا العزوف، كشأن الثقافات الرهبانية.

الثاني: الانغماس في الواقع وانقياد تام لمتطلباته حتى ولو كانت على حساب القيم الإنسانية الخلقية، وهذا شأن الحضارات المادية البحتة.

- أما الإسلام فقد تميز عن تلك الثقافات بتحقيقه للتوازن في التعامل مع الواقع، سواء في الحقائق المعرفية الموجهة للإنسان من أجل أن يفهمها بعقله، أو من خلال حقائق ثابتة في مجال الأحكام تعالج أوضاعاً واقعية متغيرة من خلال إسقاط هذه الثوابت على المتغيرات وفق معادلة مستقرة.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©

تابع: -

لقد تسامى الإسلام بنفوس أتباعه روحياً، وخلقياً، من خلال ربطهم بالواقع الذي قضى الله أن تجري حياتهم فيه.
ففي المجال العقدى مثلاً كان أسلوب القرآن فيه واقعياً حياً بعيداً عن الأسلوب الفلسفي التجريدي.
ومن خلال السنن الإلهية وقوانين التاريخ كان التوجيه القرآني لهم دعوة للسير في الأرض والاعتبار بأحوال الأمم والمجتمعات السابقة، وقد أثمرت هذه التوجيهات مسلكاً راشداً في التفاعل الإيجابي مع الواقع نتج عنه منهجية علمية صاغها أئمة العلم الأربعة وغيرهم لإقامة شريعة الله في واقع الحياة.

جميع الحقوق محفوظة لجامعة الملك فيصل ©
All Rights Reserved for KFU ©